مَـوْسُـوعَـةُ
فَوَائِـدِ القُـرآن الـزكِيَّـة

سُورَةُ الشَّمْسِ

أ.د خـالد بن حـامد الحـازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

موسوعة فوائد

القرآن الزكية

سورة الشمس

أ.د. خالد بن حامد الحازمي

أستاذ الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً

فوائد سورة الشمس

﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾

ابتدأت سورة الشمس بما أقسم الله تعالى به من مخلوقاته، التي هي: الشمس، والضحى، والقمر، والنهار، والليل، والسماء، والأرض، والنفس، حيث أظهر عَزَّ وجل فيها عظيم إبداع الخالق فيما خلق وسخر، فشد بذلك الانتباه للمقسوم به، وجواب القسم الذي هو الْمُقسَم عليه. فأقسم الله تعالى أولاً: بالشمس وضحاها، فقال تبارك وتعالى ﴿ **وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا** ﴾ أُقْسِمُ بالشمس التي تُضيء بضوئها الساطع، ثم أقسم عَزَّ وجل بضحاها ﴿ **وَضُحَىٰهَا** ﴾ أي: حين يصفو ضوؤها بعد طلوعها وارتفاعها. وقد نسب الضحى للشمس، لأن حُصوله بسببها. وفي ذلك لفت الانتباه إلى ما يكون بظهور الشمس من النهار، وما تميز به أوله، وكيف يتدرج نورها إلى أن أصبح ضوؤها في قوة من الصفاء على الأرض التي يعيش فيها الإنسان. فهو قسم يحمل دعوة للتفكر والتأمل.

ثم القسم الثالث بالقمر، فقال تعالى ﴿ **وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا** ﴾ والقمر إذا طلع فَتَبِع الشمس بعد غروبها، ليشمل جميع حالات التتالي، في منتصف الشهر وهو كامل، فيشمل أيام البيض، وأيضاً ما يكون من ضمور ضوء القمر، وتحوله في تتابع وتتالي إلى أهلة. فشمل البيان جميع حالات التتابع. وفي هذا لفت الانتباه لأمرين: الأول: متعلق في تدبير الله تعالى في هذا التتابع العظيم والعجيب، الذي يدل على ما يُبهِر الإنسان لمن تدبر وتأمل في هذا التتابع لأحوال غياب الشمس وظهور القمر. والأمر الثاني: متعلق بدقة البيان الذي استوعب جميع أنواع حالات التتابع بينهما. ليزداد التأمل والانبهار بعظمة بيان الخالق الذي يستوجب الإيمان به إلهاً ورباً واحداً، لا شريك له، وشكره بالقلب واللسان والطاعة والمتابعة لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

ثم يُقسم الله تعالى قسماً رابعاً بالنهار، فقال عَزَّ وجل ﴿ **وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا** ﴾ والنهار حين تتجلى به الشمس، وتظهر بكامل قوتها، لكي تتدرج في الضعف كما تدرجت نحو قوتها في الطلوع. وفي هذا شد الانتباه

بالتأمل والتدبر في حالات الشمس، والنهار، والعلاقة بينهما، وما أنعم الله تعالى به على العباد بهذا الضوء العظيم في نوره، وتدرجه، ليقضي فيه الناس حوائجهم. فإنها آية عظيمة لمن تدبرها، ومن ذلك التذكير بوجود الإنسان كما أوجد الشمس والقمر، ثم تطور مراحله كما هي حال الشمس والقمر، ثم الموت كما غابت الشمس وغاب القمر، ثم البعث كما أعاد عَزَّ وجل بقدرته الشمس والقمر.

ثم يُقسم الله تعالى قسماً خامساً بالليل حين يغشى الأرض. فقال جَلَّ جلاله ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴾ والليل حين يغشى الأرض. والغشيان هو التغطية والستر، ومن دقائق البيان أن جعل وقوع الغشيان كائناً على الشمس بغيابها، فيذهب الليل بضوئها، فتغيب وتُظلم الأرض. ويكون أيضاً على الأرض بذهاب النور عنها. فكما هو عظيم سبحانه وتعالى في خلقه وتدبيره عَزَّ وجل فكذلك هو عظيم في بيانه ورحابة مقصده آياته ودلائله وحججه. ليتقلب الفكر والبصر والبصيرة بالتأمل في جميع تلك الأحوال، بما يبين أن القرآن يرتقي ويعلو بعقول وأفكار من يدرسه ويتأمله. مما يستوجب نشر حقائقه التي تبعث التأمل، وتستثير الفكر والعقل، ليستسلم الإنسان لربه تبارك وتعالى، وكذلك ليرتقي في مجال التأمل والتدبر. فإنه يُثري العقل، وينميه، ويعلو به ويرقيه.

ثم يُقسم الله تعالى قسماً سادساً بالسماء وبنائها. فقال جَلَّ جلاله ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ أي: والسماء التي بناها ربكم عَزَّ وجل من غير عمد، وفي ذلك لفت الانتباه بدلالة البناء، التي تدل على الخلق والإيجاد لهذه السماء، بل أفادت دلالة ﴿ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ الانتباه إلى فخامة السماء، وفخامة البناء، وعظيم شأنها لمن تأملها وتفكر فيها، وفي علوها وارتفاعا. فربكم العظيم هو الذي خلقها، فجعلها كالبناء بلا عمد.

ثم يقُسم الله تعالى قسماً سابعاً بالأرض حين بسطها من كل جانب وجهة. فقال جَلَّ جلاله ﴿ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ والأرض التي مدها بالبسط، فطحاها لكم ربكم، حتى تنعموا بها، فتبنون وتمشون، وتزرعون، وتسقون مزارعكم. لأن معنى ﴿ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ أي: بسطها. وهذا أشهر الأقوال. وعليه أكثر أهل التفسير، وهو المعروف عند أهل اللغة[١] فهي نعمة عظيمة تستوجب الشكر بالقلب واللسان، والطاعة لله تعالى، والاتباع للرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك هي دلالة عظيمة على عظمة الله رب العالمين، وأنه لا يعجزه شيء أبداً جَلَّ جلاله.

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٥٥١/٤)

ثم يُقسم الله تعالى قسماً ثامناً بالنفس وتسويتها على أحسن ما تكون عليه الخلقة. فقال جَلَّ جلاله ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ ونفس قد خلقها ربكم في أحسن استواء: في قامتها، وحواسها، وفي حركتها، ووقوفها، وجلوسها، وتناولها للأشياء. وزينها بالعقل والتفكر والاستنتاج، والقدرة على التَّعَلُّم والتعليم. فإن مَن يتأمل خلق جنس الإنسان فإنه يشده ويهوله عظمة الخالق العظيم. بل من غزارة السياق أن استوعب البيان الكريم كل شيء له نفس. ليشمل الإنسان والحيون، وكل ما يدب على الأرض ويمشي، على رجليه أو على بطنه. فإنه باعتبار العموم فإنها تشمل كل نفس. وباعتبار ما بعدها من البيان فإنه الإنسان. وهنا تظهر قوة السياق من الله تعالى، وإعجازه الذي استوفى به كل نفس، ثم لينطلق بعد ذلك بالبيان إلى التخصيص من خلال ما بعده من الآيات العظيمة. حيث قال الله تعالى جواباً للقسم ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ فعرفها وأفهمها ما يجعلها تدرك الخطأ من الصواب، والحق من الباطل، حتى تتحمل مسؤولية ما يكون منها. فعلى الإنسان أن يتحمل مسؤولية اختياره.

ثم يخبر الله تعالى عن حال الإنسان مع نفسه. فقال عَزَّ وجل ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ قد فاز وأفلح من طهر نفسه بطاعة الله تعالى. ومعنى ﴿ زَكَّىٰهَا ﴾ طهرها من الذنوب، وأصلحها باتباعه للحق الذي جاء من عند الله تعالى على رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ وقد خاب وخسر ﴿ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ أي: خذلها وأخملها وأخفاها بالفجور والطغيان، ومعصية الله رب العالمين. فإن الإنسان هو المكلف، وهو القائد لنفسه، وهو المسؤول عن تصرفاته. وقد قال الله تعالى في سورة الإنسان ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ فإنا قد أظهرنا له بالبيان الواضح طريق الهدى، بالأدلة الكونية التي تحيط به، وبالنعم التي ينعم بها ويتفيأ فيها، من السماء والأرض والجبال، والشمس والقمر، والليل والنهار، وغيرها مما يحسه ويراه ويسمعه، وبما جاء من الرسل عليهم السلام، وإنزال الكتب. وما فطره الله تعالى عليه، فعليه أن يتحمل مسؤولية اختياره، كما قال تعالى في سورة الإنسان ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ فإما أن يكون من الشاكرين لربهم على هذا الإيجاد، وهذا الإنعام، فيطيع ويمتثل لله تعالى باتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ منكراً لإنعام الله تعالى عليه، فيكفر بالرسل، والكتب، والآيات والحجج. وبالتالي فإن عليه أن يتحمل مسؤولية اختياره، كما قال تعالى في سورة التكوير ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ وكذلك قوله عَزَّ وجل في سورة الإنسان ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن

يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ فقد جعل الله تبارك وتعالى بحكمته للإنسان مشيئة من الاختيار، وأوضح لهم طريق الخير وطريق الشر، وهذه المشيئة تحت مشيئة الله تعالى، فلا يعني ذلك أن الإنسان منفرد بها، بل إن الله سبحانه وتعالى هو الذي منحها للإنسان بمشيئته، ويمنعها بمشيئته. فيصحح سبحانه وتعالى مفاهيم عباده، ويُعَلِّمهم بعظيم سلطانه، حتى يعلموا بما يكون منهم، وما يجب عليهم، وأن ذلك لا يعني أنهم خارجين عن مشيئته جَلَّ جلاله. كما يصحح أفهام من حاد فهمه عن الصواب. فلو شاء لأرغم وأجبر من كفر على أن يسلك مسلك الإيمان، فلا يعني كُفر من كفر أنه خارج عن مشيئة الله عَزَّ في علاه. وهذه المشيئة للإنسان هي من عظيم التدبير والحكمة والعدل من الله العزيز الحكيم.

كما ورد في سورة الروم ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ ﴾ وهو الإسلام. فمعنى ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ﴾ أي: الإسلام. قال مجاهد رحمه الله تعالى: الإسلام[١] والتي يبينها قوله صلى الله عليه وسلم (كل مولود يُولد على الفطرة. فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه)[٢] أي: يولد على الإسلام. بما يفيد ويبين أن الإنسان قد وُلِد وهو مفطور على الإسلام، دون تفاصيله، فإن قلبه وميوله كائنة لمنهج هذا الدين، فيجد في أوامره ونواهيه وتشريعه ما يطمئن إليه قلبه. ولذلك ورد في تكملة الحديث تأثير غيره عليه (فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه) بما يبين أن تأثير غيره عليه هو أمر حادث طارئ مخالف لِمَا فُطر عليه المولود، من تأثير الوالدين، وممن يُحيطون به، ويتعايش معهم. فإذا عُرِّفَ وعَرَفَ الإسلام أقبل عليه ما لم يكن هواه وشهواته قد سيطرت عليه، فيؤثرها على غيرها من الحق، ولا يُرد مفارقتها إلى ما أدركه في قرارة نفسه بأنه الحق.

﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمۡدَمَ عَلَيۡهِمۡ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمۡ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقۡبَٰهَا ﴿١٥﴾ ﴾

فبعد أن أقسم الله تعالى بما أقسم من خلقه وتدبيره، وبيان مسؤولية الإنسان عن نفسه، ينتقل البيان الكريم إلى الوعظ والتخويف للكافرين بما حدث وبما كان من قوم ثمود. فقال الله تعالى ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ ﴾ فيا أيها المكذبون برسولكم صلى الله عليه وسلم، فقد كذبت قبلكم قوم ثمود، بسبب طغيانها وتمردها على رسولهم صالح عليه الصلاة والسلام، فكان طغيانها هو السبب في التكذيب، فإياكم والطغيان الذي

(١) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٤٩٣/١٨)

(٢) البخاري، الجامع الصحيح (٤٢٤/١) برقم (١٣٨٥)

أنتم عليه، بامتناعكم عن رسولكم صلى الله عليه وسلم. إذ كذبتموه، وليس ذلك إلا بسبب طغيانكم المماثل لطغيانهم. بما يفيد أن الحق واضح وجلي لكم. وفي هذا موعظة عظيمة لهم بما حدث لقوم ثمود.

ثم يخبر الله تعالى بزعيم قوم ثمود، الذي قام بقتل ناقة الله تعالى، التي كانت آية وحجة وبرهان لهم. فقال عَزَّ وجل ﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ﴾ إذ خرج وانتدب أشقاهم، الذي عقر الناقة. وقد حذرهم رسولهم صالح عليه الصلاة والسلام من ذلك ﴿ فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴾ فقال لهم رسولهم صالح عليه الصلاة والسلام ﴿ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا ﴾ إن الناقة وسقياها الذي هو ماؤها المخصوص لها، آية لكم من الله عَزَّ وجل. فلا تتعرضوا لها، ولا ليوم شربها. كما قال الله تعالى في سورة الشعراء ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ فقال لهم نبي الله صالح عليه الصلاة والسلام: هذه ناقة الله تعالى تخرج من هذه الصخرة الصماء، فلكم فيها برهان وحجة بينة، ودلالة على حقيقة ما أدعوكم إليه. قال الإمام القرطبي رحمه الله تعالى: قيل: ناقة الله، لأنه أخرجها لهم من جبل، على ما طلبوا، على أنهم يؤمنون، وقيل: أخرجها من صخرة صماء منفردة في ناحية الحجر، يُقال لها: الكاثبة، فلما خرجت الناقة على ما طلبوا، قال لهم نبي الله صالح ﴿ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ ﴾[١] كما في سورة هود. فإن في خروجها بتلك الصورة والهيئة كافية في حجيتها. ثم طلب منهم أن يكون لها حظ من الماء، فيتركوها تشرب يوماً فلا يزاحموها، ولهم يوم يسقون منه ولا تزاحمهم ﴿ قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ فاتركوها تشرب من الماء من غير مشاركة لكم معها في ذلك اليوم، ويلزمكم أن لا تؤذوها فيما خُصِّصَ لها ﴿ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ ولكم أنتم يوم تشربون فيه من الماء، لا تزاحمكم الناقة فيه، ولا تَرِدُهُ أبداً، فتكون ممتنعة عنه. وقال قتادة رحمه الله تعالى: كانت إذا كان يوم شربها، شربت الماء أول النهار، وسقتهم اللبن آخر النهار[٢] ثم نهاهم عن إيذائها بأي نوع من الأذى ﴿ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ ولا تنالوها بما يسوء، سواء من قتل أو ضرب أو أي نوع من الأذى. ﴿ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ فينالكم من الله تعالى عذاب شديد، فيهلككم به إن تعرضتم لها بأي أذى. وفي هذا إعلام وتحذير، بعد تلك الحجة والبرهان الخارقة للعادة، والمبهر للنفوس والعقول.

---

(١) القرطبي، لجامع لأحكام القرآن (٤١/٩)

(٢) ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (٤٨/٦)

ثم قال الله تعالى عنهم في هذه السورة التي هي سورة الشمس ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴾ فكذبوا رسولهم صالح عليه الصلاة والسلام، ولم يمتثلوا لأمره وبيانه، بل عاندوا ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ بأن نحروها، فماتت بفعلهم الشنيع. قال ابن قتيبة: والعقر يكون بمعنى القتل[١] والعقر هو الجرح، وقيل قطع عضو يؤثر في النفس[٢] فيتلفها ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنْبِهِمْ ﴾ أي: فأطبق عليهم ربهم العذاب بسبب ذنبهم الذي هو قتل الناقة، وكفرهم ﴿ فَسَوَّىٰهَا ﴾ أي: فسوى الأرض عليهم.

ومن دقائق البيان هو إسناد العقر إلى الجميع، مع كون العاقر واحد منهم، لأنهم راضون بذلك، وموافقون عليه[٣] والدمدمة في قوله تعالى ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ﴾ تفيد الشدة في العذاب. قال القرطبي رحمه الله تعالى: وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب|، وترديده. ويقال: دمدمت على الشيء: أي: أطبقت عليه[٤] قال ابن كثير رحمه الله تعالى: أن أرضهم زُلزِلت زلزالاً شديداً، وجاءتهم صيحة عظيمة، اقتلعت القلوب من محالها، وأتاهم من الأمر ما لم يكن يحتسبون، وأصبحوا في ديارهم جاثمين[٥]

ثم يخبر الله تعالى عن صورة الطغيان الذي وصل بهم إلى درجة أن أحدهم الذي هو أشقاهم ذهب لقتلها وهو في حال غير خائف من عذاب ربه عَزَّ وجل. فقال تعالى عنه ﴿ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ من غير خوف من عاقبة فعله. وقد جمعت دلالتها معنيين: أحدهما: قول ابن عباس: لا يخاف الله من أحد تبعة. وقال الضحاك رحمه الله تعالى وغيره: لم يخف الذي عقرها عقباها[٦] فاستوعبت النص الكريم المبالغة في عدم الخوف. بما يدل على طغيان القاتلين لها، وأيضاً التهديد للكفرة المعاندين للرسول صلى الله عليه وسلم، بأن الله عَزَّ

---

(١) المرجع السابق (١٥٣/٣)

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٥٣/٧)

(٣) الشوكاني، فتح القدير (٢٢٠/٢)

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٥٣/٢٠)

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (٣٥٧/٣)

(٦) ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٤٥١/٢٤-٤٥٢)

في علاه لا يبالي بكم بالهلاك. فاحذروا مما أنتم فيه، واتعظوا بغيركم، فإنه الخير والأفضل لكم، من أن ينالكم ما نال قوم هود من الهلاك والعذاب.

وأحمد الله تعالى وأشكره على ما أنعم به عليَّ من شرف هذا العمل، فوفقني على إتمام سورة الشمس. ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتُب علينا إنك أنت التواب الرحيم. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.